

■ الإمام الخامنئي رحمته الله في لقاء مع القائمين على المؤتمر الدولي لإحياء ذكرى الميرزا النائيني

## المرحوم النائيني فقيه استثنائي وركن رفيع من أركان حوزة النجف العريقة

### التجديد والفكر السياسي هي من السمات البارزة للميرزا النائيني



لديهم، وهي القضية السياسية، أو ما يُسمّى بالفكر السياسي. يختلف الفكر السياسي عن الميل السياسي؛ فبعضهم كان لديه ميل سياسي. المرحوم الأخوند، والمرحوم الشيخ عبد الله المازندراني، وغيرهما، كانوا ذوي ميول سياسيّة. في ذلك الوقت، كانت الميول السياسيّة حاضرة حتّى بين طلاب العلوم الحوزويّة. كان السبب في ذلك أنّ الصحف المصريّة والشاميّة ونحوها كانت تصل إلى النجف وتتوافر في المكتبات، وكانت تلك الصحف متأثرة بالسيد جمال الدين [الأسديادي] ومحمد عبده وأمثالهما، وكانت تطرح أفكارًا جديدة. يروي المرحوم آغا نجفي القوجاني في مذكراته أنّ عددًا كبيرًا من طلبة العلوم الحوزويّة هناك كانوا ذوي ميول سياسيّة، وكذلك بعض العلماء كانت لهم ميول سياسيّة. لكن الميل السياسي أو الاهتمام بالشأن السياسي أو حتى التحدث في السياسة، شيء، والفكر السياسي شيء آخر تمامًا. لقد

كان السيد النائيني صاحب فكر سياسي، يمتلك رؤية سياسيّة. كتاب «تنبيه الأمة» قد تعرّض حقًا للظلم. رحم الله المرحوم السيد الطالقاني الذي أعاد طبعه، وإلا فإن الطبعة السابقة - كما يُقال - كانت طبعة رديئة ومتخلّفة جدًا. لقد أعاد سماحته طباعته وأضاف إليه الحواشي وأقدم على أعمال أخرى من هذا القبيل. مع ذلك، فإن هذا الكتاب لا يزال مهجورًا إلى اليوم، رغم أنه كتاب في غاية الأهميّة. شأهير إشارة قصيرة إلى بعض القضايا التي تناولها في هذا الكتاب. أوّلًا، كان سماحته يعتقد بضرورة تأسيس حكومة إسلاميّة؛ وهذا بحث ذاته فكر قائم، وهو أنّه يجب إقامة حكومة إسلاميّة. أصبح أنّه لم يحدّد شكل هذه الحكومة، ولكنّه صرّح في كتابه «تنبيه الأمة» بوجوب إقامة الحكومة الإسلاميّة. هذه مسألة في غاية الأهميّة.

ثانيًا، إنّ المحور الأساسي في هذه الحكومة الإسلاميّة هو مسألة «الولاية». هو يعتبر عنها بـ «الحكومة الولائيّة» في مقابل «الملكيّة الاستبداديّة». يبدو أنّه استخدم هذا التعبير ليقابل به «الحكومة الاستبداديّة» أو «الملكيّة الاستبداديّة». «الحكومة الإسلاميّة الولائيّة»، أي إنّ شكل الحكومة ومضمونها وجوهرها يرتكز على أساس «الولاية»، وهذه بحث ذاتها مسألة بالغة الأهميّة وتستحق كثيرًا من البحث، وقد صرّح بها سماحته بوضوح.

هذه هي النقطة التالية. النقطة التالية شديدة الأهميّة، هي مسألة «الرقابة الوطنيّة». هو يرى أنّ الحكومة يجب أن تكون خاضعة للرقابة، وأنّ المسؤولين جميعهم يتحمّلون

المسؤوليّة ويجب أن يخضعوا للرقابة. حسّنًا، من الذي يتولّى إخضاع هؤلاء للرقابة؟ بحسب تعبيره، هو «مجلس المبعوثين» الذي يتولّى التشريع، وبطبيعة الحال، يتطابق «مجلس المبعوثين» على سبيل المثال مع مجلس الشورى أو شيء من هذا القبيل. من الذي يُشكّل مجلس المبعوثين؟ الشعب هو من يُشكّله، أي إنّ الناس هم من يطلقون ويشاركون في الانتخابات، فينتخب مجلس المبعوثين، ثم يشرّع هذا المجلس. لكنّ هذا التشريع لا تكون له شرعيّة ما لم يُصادق عليه علماء الدين البارزون، أي ما يعادل «مجلس صيانة الدستور». يعزّز سماحته عن ذلك على هذا النحو، ويصرّح أنّ قانون مجلس المبعوثين لا يكون نافذًا إلّا إذا أقرّه علماء الدين وفقهاء الإسلام.

حسّنًا، يجب أن ينتخب الناس مجلس المبعوثين هذا. هو يقول إنّ انتخابات الشعب واجبة من باب «مقدمة الواجب»، وقد استخدم هذا التعبير نفسه، وعدّها مقدّمة للواجب، وبالتالي على هذه الانتخابات واجبة على سبيل المثال. كما يستند سماحته في ذلك إلى مفاهيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحاسبة والمسؤوليّة التامة، ويؤكّد هذه الأمور.

أي إنكم تلاحظون أنّه يرسم ويقدم، بوصفه فكرًا سياسيًا، نظام حكم يرتكز أوّلًا على السلطة والحكومة، وثانيًا على أنّه منبثق من الشعب، أي إنّ الناس هم الذين ينتخبون، وثالثًا على أنّه منسجم مع المفاهيم الدينيّة والأحكام الإلهيّة والشرعيّة، أي إنّ وجوده من دونها لا معنى له، بمعنى أنّه حكومة إسلاميّة وشعبيّة. لو أردنا أن نعبّر عن هذه الحكومة الإسلاميّة والشعبيّة اليوم بعبارة معاصرة، قلنا إنّها «الجمهورية الإسلاميّة»، ف«الجمهورية» تعني أنّها شعبيّة، و«الإسلاميّة» تعني أنّها إسلاميّة. طبعًا هو نفسه لا يستخدم مثل هذه التعبيرات ولا يصرّح بها على هذا النحو، ولكنّ خلاصة كلامه هي الاتيّة: تُؤسّس حكومة من مجموعة من المتدينين والصالحين والمؤمنين، عبر انتخاب شعبي، وبرقابة شعبيّة شديدة؛ والمسؤولون في كلّ مجال يُعيّنون وهم ملزّمون بالإجابة عن الأسئلة ومحاسبون، وأعضاء مجلس المبعوثين أيضًا ينبغي أن يستوا القوانين، وهذه القوانين لا تكون نافذة ما لم يرغها علماء الدين. هذه هي آراؤه، وهي مسألة بالغة الأهميّة.

نحن نقرأ تقاريرات السيّد النائيني بهذه العظمة، ونستفيد منها، ونستلهم منها الدروس، ونُدرّسها، ولكننا لا نولي هذه الأسس الفقهيّة ما تستحقّه من اهتمام. ثم إنّ الملفت أنّه لا يتكلّم بكلام إنشائي أو

خطابي، بل يطرح بحثًا فقهيًا؛ أي ما ذكرناه كله، عرضه وأثبتّه استنادًا إلى مبانٍ فقهيّة، ويعالج هذه القضايا على هذا النحو ويثبتها، بالاهتمام والدقّة والملاحظات نفسها التي يراعيها الفقيه، حيث ينبغي له أن يلحظ الدلالات النصّيّة والمصادر الدينيّة من جهة، والاعتبارات العرفيّة من جهة أخرى. هو في هذا الموضوع يسير تمامًا على النهج الذي يسير عليه الفقه المتعارف والمتداول. في رأيي، يُعدّ هذا من الاستثناءات النادرة، فنحن لا نجد في علمائنا من هو على هذه الشاكلة. حتّى المرحوم الأخوند الذي كتب تقريبًا على هذا الكتاب، يؤيّد بصورة كاملة. الأخوند ليس رجلًا عاديًا، وهو يؤيّد هذا الكتاب تمامًا، وأظنّه قد قرأ الكتاب واستفاد منه فعلاً، أي أنّه استفاد من هذا الكتاب. إنّ كتاب «تنبيه الأمة» في رأينا من الكتب البالغة الأهميّة. حسّنًا، هذه كانت بعض ميزاته الشخصيّة.

طبعًا، تقع التبعة على عاتق أولئك الذين تسببوا في جمع هذا الكتاب وسحبه من التداول. يبدو أن هذا ما حدث فعلاً، فبعيدًا من الشائعات، قد سمعنا ممن كانوا في النجف ومن رفاق والدنا المرحوم، الذين كانوا نجفيين ويترددون علينا وعلى اطلاع بالأمّ، أنّه كان يجمع هذا الكتاب بجهد جهيد، فكان يشتريه من كل من يملكه حتّى لا يبقّى له أثر. ما هو السبب أي ترى؟ من السذاجة بمكان أن يتصور أحدهم أن فقيها بهذه المكانة الفقهيّة، وبهذه القوة في الاستدلال، يؤلف كتابًا، ثم يتراجع عن رايه إلى درجة سحب الكتاب من التداول؛ هذا أمر لا معنى له إطلاقًا. الفقهاء قد تتغير آراؤهم الفقهيّة وتبديل، [ولكن] أن يجمعوا كتبهم ويسحبوه من التداول، فهذا له سبب آخر. السبب هو أن تلك «المشروطة» (الثورة الدستوريّة)، التي انعكست أصدأؤها في النجف، والتي بذل المرحوم الأخوند [الخراساني] ماء وجهه كله في سبيلها - وكذلك المرحوم الشيخ عبد الله المازندراني وآخرون - كانت شيئًا مختلفًا عما حدث في الواقع. في الأساس، لم يكن اسم «المشروطة» مطروحًا حتّى، ما كانوا يسعون إليه هو حكومة العدالة ورفع الاستبداد ومواجهة الاستبداد ومكافحته. مصطلح «المشروطة» وأمثاله جاء به الإنجليز، هم الذين جلبوا الاسم، وهم الذين رسموا معالم هذا المسار. طبعًا، من الواضح إلى أين سيؤدّي عمل يتولاه الإنجليز؛ سيفضي إلى خلافات ونزاعات شتى، ثم يصل إلى مآل يُشئق فيه شخص مثل الشيخ فضل الله [نوري]، ويُغتال فيه شخص مثل المرحوم السيد عبد الله البهبهاني، ويقضى على أمثال ستار خان وباقر خان بتلك الطريقة - ستار خان بطريقة، وباقر خان بطريقة أخرى. عندما تصل أصداء هذه الأحداث إلى النجف، حينها يندم أولئك (الفقهاء) على دعمهم لهذه الواقعة. في رأيي، إن المرحوم هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسهم في دعم شيء لا يرتضيه، بل شيء عليه أن يكافحه؛ وذلك الشيء هو «المشروطة» نفسها التي أوجدها الإنجليز في إيران، والمجلس الذي شكلوه، والأحداث التي تلت ذلك، مثل استشهاد المرحوم الشيخ فضل الله نوري وأمثال هذه الوقائع.

في رأيي، إنّهُ فقيّه استثنائي وعالمٌ جليل. إنّهُ يتبوأ منزلة علميّة رفيعة جدًا. أمّا على الصعيد العملي، فقد أُشير، كما ذكرنا، إلى ما يُصطلح عليه بـ «المسائل المعرفيّة» لديه، وحالات زهده وورعه، وما يَروى عنه في هذا الباب. بلغني - أو هكذا تُقل - أنّه كانت له صلة أيضًا بالمرحوم الأخوند الملاً حسين قلي [الهمداني]؛ فكان كلما قدم إلى النجف من سامراء، يزوره. كما كانت له صلة بالمرحوم الملاً فتح علي الذي كان في سامراء نفسها، وهي صلة من نوع آخر، على أي حال، لقد كان على ارتباط بمثل هؤلاء الأعاظم. حين كان في أصفهان، كان على صلة بالمرحوم جهانغير خان وأمثاله، وكما يَروى، يبدو أنّه درس عنده أيضًا؛ ما يعني أنّه كان له باغٌ في الفلسفة ونحوها، وكان من أهل المعنى. قبل أيام، سمعتُ من بعض السادة، تقلّأ عن بعض الأكابر، أنّ له صلاة ليل استثنائيّة، إذ يروي صهره المرحوم الأغا النجفي، الذي كان في همدان - بحكم قربه ومعايشته له في الأسرة ورؤيته لهذه الأحوال - عن صلاة ليل الميرزا النائيني، فيصف ما كان يعتريه فيها من حال، وما كان له من تضرّع ومناجاةٍ وحال عجيبة؛ هذه الجوانب كانت موجودة أيضًا، ومن المعلوم أن هذه الأمور هي التي تُعين المرء على الاهتداء إلى الصراط القويم، والسير فيه، وبلوغ الغايات.

نأمل إن شاء الله أن هذا الملتقى القيّم جدًّا الذي تعقدونه، سواء في قم أم في النجف أم في مشهد، [يُكلّل بالتوفيق]. لقد أحسنتم صنعًا بالعلم في مشهد أيضًا. المرحوم السيد الميلاني، والحق يقال، قد أحيا ذكرَ السيد النائيني في مشهد. إذ كان الرائج في مشهد أنّك، بحكم وجود المرحوم الأغا زاده - نجل المرحوم الأخوند - هو أفكار الأخوند [الخراساني]. لكن بعد قدوم المرحوم الميرزا مهدي الأصفهاني إلى مشهد - هو من تلامذة الميرزا [النائيني] البارزين -، فإنه كسّر ذلك الجوّ الذي كانت تهيم عليه أفكار الأخوند، بطرحه لآراء السيد النائيني؛ فجاء بآراء مبتكرة وأفكار جديدة واستدلالات حديثة. كان والدنا المرحوم، الذي حضر لسنوات طويلة درسي كليهما - درس السيد الأغا زاده ودرس المرحوم الميرزا مهدي - يقول: إنّ قدوم الميرزا مهدي إلى مشهد قد غيّر المناخ الأصولي فيها تغييرًا جذريًا. بعد أن كانت آراء [المرحوم الأخوند] هي السائدة، لكن بعد رحيل المرحوم الميرزا مهدي، لم يعد لاسم السيد النائيني ذكْر يُذكر. يَعتقد به. كان السيد الميلاني ينقل آراء المرحوم السيد النائيني، ويطحرها للنقاش، فربما انتقدها أحيانًا، ولكنه كان يؤيّدُها غالبًا. على كل حال، أحسنتم صنعًا بتخصيص فرع للملتقى في مشهد، أمّا النجف، فأمرها واضح. نأمل إن شاء الله أن يوفقكم الله المتعالي ويسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

#### شعر وقصيدة



■ للسيد محمد رضا القزويني

#### مولد السيدة

#### زينب الكبرى

وُلدت كما يُشرِّقُ الكوكب  
فأُمٌ تُبْهِي وَيَزْهَوُ أبٌ  
عليّ وفاطمة انجَبَاكِ  
غيبًا من الخير لا يَضيَبُ  
وجاء بك جدُّكَ المصطفى  
ليختار لاسمِكَ ما يُعْجِبُ  
فقال: ولَسْتُ - كما تَعلِّما  
ن - أسبقُ ربِّي بما يَنيَسُبُ  
وهذا أخي جبرئيل أتى  
بأمرٍ من الله يُستَعذِبُ  
يقول إلهك ربّ الجلال:  
تَقبَّلْناها واسمها زينب  
وكفَّلْناها بأخيها الحسين  
ويوم يَغرُّ به المُشْرَبُ  
لِتَحمَلَ أعباءه كالليوث  
فَيَسيِرُ بأطفاله المَرَكَبُ  
خَطَبَتْ فدَوى بسمع الزما  
ن صوتٌ إلى الآن يُستَرَهَبُ  
أخاف الطغاة على عرشهم  
فظنّوا عليّا بدا يخطُبُ  
وأنّت التي كُتِبَ مأسورةٌ  
وما لك في الشام مَن يُسَبُ  
لك اليوم هذا الندى والجلا  
ل مثلاً لأهل الثُهي يَضرِبُ  
وقبُر يطوف به اللائذو  
نَ رَمَزًا و ما عنده يُطلَبُ  
منارًا يَشيَعُ بأفق السماء  
فَيُعلِّئُها : هذه زينب

#### نصيحة نفسية



#### طريق النجاح يبدأ من المحاولة

لا تخف من التعثر، فكل تجربة غير مكتملة تقزّبك خطوة نحو الصواب.
الفشل ليس نقیصة، إنما الخطر الحقيقي أن تبقى أسير الخوف منه.
من لم يختبر الإخفاق، لم يختبر الحياة، ومن لم يجزّب، لم يتقدّم خطوة واحدة.
أعظم المبدعين الذين غيروا وجه التاريخ واجهوا الرفض والاستهزاء، لكنهم لم يعرفوا للتراجع طريقًا.
النجاح لا يولد من الحذر المفرط، بل من الجرأة على التجربة والمجازفة الواعية.
سر إلى الامام حتى وإن ارتجف قلبك، فالشجاعة لا تعني غياب الخوف، بل القدرة على تجاوزه.
تذكر دائمًا:
الفضل ليس نهاية الطريق، بل مدرسة تصقل قوتك وتزديك نضجًا.

واصل السير... فكل سقوط يحتوي درسا، وكل درس يفتح بابًا نحو النهوض من جديد.